١٣٢٨

حديث صحافي لجلالة الملك مع مدير مجلة (لونوفيل أبسرفاتور) الفرنسية

مراكش — خصَّ صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني السيد جان دانييل مدير مجلة (لونوفيل أبسرفاتور) الفرنسية بالحديث التالي :

سؤال — ستفهمون رغبتي في البدء بالشيء الأكثر استعجالا بالنسبة لكم ولنا وبالنسبة للجميع، ألا وهو التشدد الديني.

جواب : بكل سرور، ولكن شريطة أن تتم معرفة موضوع الحديث، إذ أن الإتجاه تقريباً هو أننا نرى هنا وهناك لدى المسلمين متشددين يشكلون مصدر إزعاج، الشيء الذي قد يجعل التشدد يتخذ ذريعة لعدم تسامح شرطة بعض الدول الغربية إزاء مجرد ممارسة الدين الإسلامي.

ومهما يكن من أمر فإنني أوافق على أن المتشددين الذين يستحقون هذا الإسم يساهمون في إثارة مظاهر رفض الإسلام التي يعرفها الغرب.

سؤال — هل تسمحون بأن أقترح عليكم تعريفي للتشدد الديني الذي يمكن أن ينطبق على جميع الديانات ؟ إنه مزيج متفجر من الحاجة الفردية إلى الصوفية، وميل جماعي إلى الصليبية، وهذا يؤدي إلى فرض خلط بين رسالة ديانة سماوية مع ما عهد وظروف الوحي، وذلك بدعوى العودة إلى الأصول، وينتج عن ذلك التقيد بالحرف بكيفية متعسفة على حساب روح الرسالة.

جواب : انني أقبل هذا التعريف مع أن تطبيقه على الأسلام يقتضي تمحيصاً في بعض الجوانب، ولكن تعريفك يفيدني، لأنه يجعلني أفرق بكيفية جذرية بين الأصولية التي تنبع من الحاجة الشخصية والتشدد الديني الذي يعني استغلال هذه الحاجة لغايات سياسية واضحة.

وبما أن الاسلام ينظم تصرف المؤمنين، وأن الفرق بين الجانب الديني والدنيوي لديه أقل وضوحاً مما في غيره، فإن بعض المسلمين يعتقدون أن في استطاعتهم استعمال الدين ليحددوا بكيفية نهائية تنظيم الدولة الاسلامية ويجعلوا هذا التنظيم إجباريا بالنسبة للعالم الاسلامي، فالتشدد الديني هو الأصولية عندما ينظر إليها كوسيلة للسلطة.

سؤال — هل يمكن تفادي هذا الإنحراف بكيفية أخرى غير إقامة مجتمع علماني ؟

جواب : إنني أرى العكس تماماً، ففي مجتمعاتنا العربية الإسلامية أن العدوى الخفية أو الظاهرة للإلحاد المصاحبة للعلمانية والتيه إزاء الفراغ الديني أي الثقافي بالنسبة لنا والإبتعاد عن الإسلام هو الذي يثير الحركات الدينية المتشددة، فبرجوعكم إلى أي مجتمع ذي تقاليد إسلامية ستكتشفون أن التشدد الديني يكون مسبوقاً دائماً بفترة تغافل عن الدين، وبفترة يتمُّ خلالها ترك العبادة، فالجانب الشعائري والثقافي في الإسلام شيء واحد، إذ أن الذين لا يتوفرون على هوية ثقافية يرتمون في أحضان أي استبداد ديني، وهذا ما يمكنه أن يفسر بعض ردود الفعل التي ليست بالضرورة ردود فعل حركات متشددة والتي يظهر أنها تقلقكم لدى المسلمين الذين يعيشون بأوربا وفرنسا بصفة خاصة.



سؤال ــ هل تعنون أنهم تأثروا أولا بعدوى المجتمع العلماني ؟

جواب : إنني أعني أن هؤلاء يشعرون بكونهم منفيين مع كل ما يتضمن ذلك من عزلة عاطفية وانعدام توازن، فهم لا يعيشون في إطار هياكل تبعث على الأمن كما كان شأنهم هنا مثلا، فالمؤذن ينادي إلى الصلاة خمس مرات في اليوم، والحفلات التقليدية قائمة، كما أنه يتم إقامة صلوات الجماعة وصلاة الجمعة، وهناك أيضاً عامل تضامن المؤمنين وعامل التقاليد.

فهذا الإبتعاد، وهذا الإقتلاع من الجذور، يثير صدمات سيكولوجية حقيقية، وهذا دون الحديث عن الظروف الخارجية الناتجة عن المناخ ووتيرة العمل ومتغيرات ما يسمى بجحيم الحواضر بالنسبة لأشخاص قرويين في غالب الأحيان، فرد الفعل هو العودة إلى الإسلام، سواء عن طريق الأصولية أو عن طريق السقوط في أحضان التشدد الديني الموجَّه أو غير الموجَّه.

سؤال ــ هلا يحثون ببساطة عن رابطة أو وحدة شعور كما هو الشأن بالنسبة لأولئك الشبان الأوربيين الذين كانوا قديماً منجذبين إلى الشيوعية ؟

جواب : إن الشيوعية ليست هيكلا تقليدياً، فالرجوع إليها لا يتم كما يتم ذلك مع الممارسة الدينية، وعلى كل فإن المهم ليس هو ما يحدث لدى المسلمين في المنفى، وإنما في بلدانهم الأصلية التي تبقى مرجعهم الدائم، وانني أفرق بالنسبة لهذه البلدان الإسلامية بين البلدان التي تعرف فراغاً دينياً وبين البلدان الأخرى، وفي أي مجموعة إسلامية يجب توفير هيكل ورئيس، يجب توفر رئيس تقام باسمه خطب الجمعة ويجتمع حوله المؤمنون عند مناقشة جميع المشاكل، وعندما تتوفر كل هذه الشروط فإنه لن تقوم للتشدد الديني قائمة.

سؤال ــ لقد فهمت ماذا تريدون قوله : هو أن المغرب محمي بصورة أفضل، لأنكم أمير المؤمنين، غير أن كل البلدان ليس بها أمير المؤمنين، ومن جهة أخرى فإن ذلك يعني اعتبار الحكمة المحتملة لأمير المؤمنين مقياس قيمة التدين، فالخميني يمكنه أن يدعي ذلك ؟

جواب : لقد اختلط عليكم الأمر، فالخميني لا يقول انه أمير المؤمنين أي حفيد الرسول فقط، وإنما يقول انه إمام قادر وحده على تفسير ما جاء به القرآن، فإلقاء خطبة الجمعة باسم شخص ما سواء كان أميراً للمؤمنين أو ملكاً أو رئيساً لا يعني الخضوع لحكمه السياسي، فالذي يقعُ عليه الإختيار بحرية كرئيس هو الذي يدعى له في الصلاة، ولقد ناقشت هذا الأمر في السابق مع جمال عبد الناصر، وسألته لماذا يقبل بأن تقدم الإنتخابات على أنها بيعة شعبية، فهو كان يدرك القوة الوحدوية التي تنطوي عليها الرؤية الدينية لهذه الممارسة الديمقراطية، وبما أننا بصدد الحديث عن مصر أود أن أقول : ان أموراً خطيرة جداً تجري في هذا البلد، فأنا أخشى اتحاداً بين الإخوان المسلمين الموجودين في مصر وبين حزب الله وحركة الجهاد الإسلامي لزعزعة استقرار المنطقة بأسرها.

سؤال ــ هل تعتقدون أن المغرب سيبقى بمنأى عن حركة يبدو أنها أصبحت تصهر بين السنة والشيعة وتطمح إلى جمع كلمة المسلمين ؟ وإذا كان بمنأى عن هذه الحركة فهل يمكنه اقتراح نموذج على الآخرين ؟

جواب : إن ما يحمي المغرب هو الذي يمنعه في الوقت ذاته من اقتراح أي نموذج، فكوننا متميزين هو الذي يجعل أفكارنا غير قابلة للتصدير، إن التجربة العريقة للمغرب فريدة من نوعها، فكما تعلمون توجد أربعة



مذاهب رئيسية في الديانة الإسلامية، لقد اختار المولى إدريس الأول الذي حل بالمغرب سنة 800 وكان معاصراً لشرلمان وهارون الرشيد المذهب المالكي وقرر وجده هذا المذهب، وحرص كل خلفائه على الحفاظ على هذه التركة، وليست هناك بلدان عربية لها وحدة المذهب، إننا ننعم بذلك، ولكن من البديهي أنه ليس بإمكاننا أن نقترح هذا النموذج على الآخرين بقرار، ومن جهة أخرى فإن من حسن حظ المغرب أن له حدوداً طبيعية، فهناك المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، والصحراء، وهذا ما جعلنا نحافظ على مكاننا منذ عدة قرون، وهكذا حافظنا على مزايانا وعيوبنا على حد سواء.

سؤال ــ ومع ذلك فقد صدرتم بعضها إلى إسبانيا ؟

جواب : لاشك في ذلك، وقد صدرت إسبانيا كذلك ثرواتها الفكرية، غير أننا عمقنا حضارتنا دون أن نخشى خطر الذوبان في الغرب أو التحول نحو الشرق، وهذا حال فرنسا إلى حد ما، فلكم أيضاً المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ومن جهة جبال الألب لكم الحضارة اللاتينية.

سؤال ــ هل تريدون أن تقولوا ان المغرب كفرنسا كيان جغرافي على حد تعبير أحد كبار المؤرخين الفرنسيين، أو تقصدون أن جيرانكم لن يخشوا شيئاً ؟

جواب : أريد أن أقول : ان شعباً يتمدد يفقد ميزاته الخاصة كالصباغة التي تذوب في الماء، إن التجربة المغربية قد اكتسبت رصيداً من المزايا لا يمكن تصديرها.

سؤال ــ هل هذا يعني أنكم لا توصون بتبني وسائل للدفاع ضد التشدد الديني ؟

جواب : إن علماء المغرب قاطبة أدانوا أفكار الخميني استناداً إلى كافة قواعد العقيدة الإسلامية الأصولية، فقد تم نبذه شكلا ومضمونا، وادعاؤه خوض حرب باسم الإسلام نرفضه لسببين : أولا لأنه يبدو لنا أن العراقيين ليسوا أقل إيماناً بالإسلام من الآخرين، وثانيا لاعتقادنا أن الخميني في موقع لا يؤهله تماماً لإصدار حكمه في هذا الشأن، وعلى أي حال لا يمكننا أن نقبل بأن يُعطي أحد الحقّ لنفسه في أن يفرض عن طريق الحرب الأخذ بتأويل ما للإسلام سواء كان ذلك قابلا للنقاش أم لا ؟

سؤال ــ كيف تفسرون كون الشعب الإيراني يتبع الخميني فيما يذهب إليه ؟

جواب : كما تعلمون لا رهبانية في الإسلام، فكل مسلم على وضوء وسليم عقلياً وجسدياً يمكن أن يؤم بالناس ولو كان عددهم عشرة آلاف أو خمسة وعشرين ألفا، إذا كان يحفظ القرآن ويعرف اللغة التي نزل بها، أي أن يعرف اللغة العربية.

إن المأساة في إيران هي أنه ليس هناك من يعرف العربية إلا جماعة الملا، فالأمر كما لو أننا فرضنا أن العالم الغربي مازال يعيش في ظل متطلبات الكنيسة وهذه الشرائع مكتوبة فقط باللاتينية، فكل واحد باعتبار متطلبات الحياة اليومية عليه أن يتوجه للراهب ليستفتيه عن أمور دنياه.

فدور هيأة رجال الدين في إيران له تفسيرات عديدة، منها أن معرفتهم باللغة العربية تجعلهم يحتكرون تفسير القرآن، وهكذا يفوض المؤمنون أمرهم لرجال الدين الذين يجنون من ذلك قوة لا مثيل لها على صعيد التنظيم السياسي، والآن على صعيد إدارة الحرب.



سؤال ـــ يقال انكم فكرتم في تقديم المساعدة للعراق ؟

جواب : لقد تمنيت على الخصوص وما زلت أتمنى أن تنتهي هذه الحرب الضارية والتي لا معنى لها بين المسلمين، وأنا لا أريد أن أقوم بأي شيء من شأنه أن يبعد الطرفين عن مفاوضات سلام محتملة، وهذا هو الأهم، لكن إذا طلب العراق ـــ الذي يعد المغرب صديقاً متضامناً معه ـــ المساعدة فإنه لا يمكننا أن نتخلف عن ذلك.

سؤال ـــ هل تستوحون ثقتكم في استقرار الوضع بالمغرب من احتفالكم بالذكرى الخامسة والعشرين لتربعكم على العرش ؟ وما أردت قوله هو : أليست ثقتكم في الوضع بالمغرب نابعة من ثقتكم في نفسكم أكثر من أي شيء آخر ؟

جواب : بالفعل، عندما خلفت والدي رحمه الله رأى البعض أن مدة حكمي قد لا تتجاوز الستة أشهر، وبعد ذلك تنبأوا بصورة منتظمة بانتهاء حكمي، لكني وبعد مرور خمس وعشرين سنة ما زلت في الحكم، إنما من الغلط أن تعتقدوا أنني أرجع أسباب استمرار حكمي فقط لخصالي الشخصية، إذ لابد أن تكون هذه العناية والنعمة الإلهية مرفوقة بشيء آخر، وأعتقد أن ذلك الشيء هو إرادة شعبي، ذلك أن ثقتي في المغرب لا تنفصل عن شيئين، وهما أن الشعب المغربي مخلص أشد ما يكون الإخلاص للنظام الملكي، وأنه متعلق بالشخص الذي يمثل حالياً هذا النظام، وإذا قلتم ان كل الملوك وصلوا إلى هذه النتيجة فإني أجيبكم بأنه لم يكن لديهم كلهم فرصة للتأكد من ذلك مثلي.

سؤال ـــ ألم يكن هناك أي اعتراض على طريقة ممارستكم للحكم ؟ ألم تكونوا هدفاً لانتقادات في الداخل والخارج ؟ ألم تقدم شكاوى ضد قساوة معاملة الشرطة، خاصة وأن المغرب يوجد ضمن لائحة الدول التي أدانتها منظمة العفو الدولية ؟

جواب : إن الإحترام الذي أكنه لشعبي وعرفاني له على الحب الذي أجده لديه للنظام الملكي وحرصي على سمعة بلدي جعلتني أتحدى كل من يوجه لي الإتهام، إنني أقبل أن تأتي لجنة تابعة لمنظمة العفو الدولية إلى المغرب لتقصي الحقائق، وأتعهد بأن تقدم لها كل التسهيلات، لقد حان الوقت لوضع حد لكل هذه الأكاذيب، وأضيف أنني برهنت مؤخراً نزولاً عند رغبة السيد ميتران على أنه بإمكاني العفو حتى بالنسبة لعدد قليل من المحتجزين السياسيين المعارضين لوحدة التراب الوطني وللنظام الملكي، ويمكن أيضاً أن تزور هؤلاء الأشخاص الذين يبلغ عددهم حوالي عشرة.

سؤال ـــ ما هي طريقة عمل نظام ملكيتكم الدستورية والبرلمانية التي يغلب فيها النظام الملكي على النظام البرلماني ؟ ألا يتعلق الأمر بنظام رئاسي بدون انتخابات رئاسية ؟

جواب : يظهر أن الغرب منشغل بالملوك الذين يمارسون سلطة مراقبة أكثر مما هو منشغل بالرؤساء المنتخبين بنسبة 99,99 في المئة من الأصوات والذين يعود بقاؤهم في السلطة إلى القوة، ان قيام نظام ملكي برلماني متعدد الأحزاب في بلد يتشبث بالتقاليد مثل المغرب يشكل ثورة يظهر أن الغرب لم يولها الإهتمام الذي تستحقه، ففي الوقت الذي نجد فيه أن بعض الرؤساء يقبلون بصفة نهائية مهما عملوا بطلب من الملوك أن يبرهنوا في كل لحظة عن تمسكهم بالديمقراطية، لقد أقمت بروراً بوعد والدي تغمده الله برحمته نظاماً ملكياً

دستورياً بالمغرب، وذلك بالرغم من كل الصعاب، وعملت على الإبقاء عليه رغم العديد من العقبات، كيف تعامل المغاربة مع ذلك؟ لقد تمّ لهم ذلك بعدم خلق أي مواجهة بين التقاليد والعادات وروح القوانين، فالمغرب اجتماعي بطبعه والتركيبة القبلية أثريت بالجماعة التي هي الخلية الإجتماعية الأساسية للبربر، وللمغاربة ميل فطري للقرار المتخذ جماعياً وللتضامن الجماعي، وفي سنة 1976 تمت الموافقة على ميثاق جماعي طبيعي ومتطور جداً أيضا يضمن احترام الأعراف والمطلبات الأكثر تجذراً في تقاليد أجدادنا، وبدأ المغاربة يتخذون القرارات التي تعنيهم، أما فيما يخص البرلمان فهو يعمل بصورة أفضل من سابقه، فالمعارضة تعبر داخله عن رأيها بكل حرية وقوة، ولكنها تحترم المؤسسات، وهذا كل ما أطلبه، ولا أحد يمكنه أن يطعن في النظام الملكي ولا في طابعه الدستوري ولا في الوحدة الترابية، لأن ذلك سيكون بمثابة خيانة عظمى.

سؤال ــ عندما تتحدثون عن الوحدة الترابية، هل يتعلق الأمر بالحدود الصحراوية الجديدة ؟

جواب : لا، ولكن الحدود الطبيعية للمغرب منذ وجد، ينسى البعض أن المغرب استعمر من لدن دولتين، ولدى تصفية الإستعمار بالمغرب فإن جلاء فرنسا وإسبانيا لم يتما في نفس الوقت، وهذا هو أصل ما يسمى بالنزاع الصحراوي الذي ليس في الواقع إلا مجرد نزاع بيننا وبين أشقائنا الجزائريين حول الإرث الإستعماري.

سؤال ــ هل يمكن القول ان شغفكم بالصحراء نابع على كون المسيرة الخضراء خلفت أثراً كبيراً في نفس الشعب المغربي، وهي التي كانت بمثابة استفتاء حول حكمكم وشخصكم والدولة العلوية التي تنتمون إليها ؟

جواب : بعد المسيرة الخضراء قلت لولدي : إذا ما عرفت كيف تعالج الأمور فسأترك لك قرناً من السكينة والهناء، فاحرص على صيانة هذا التراث بعون الله.

لقد ركبت أكبر المخاطر بالنسبة لشعبي، وبالنسبة لحكمي، فلو أن الثلاثمئة وخمسين ألف مغربي الذين تطوعوا لهذه المسيرة واجهتهم نيران الجيش الإسباني وترتب عن ذلك مجزرة لتنازلت عن العرش، إلا أن العناية الإلهية جنبتني ذلك.

سؤال ــ ولكن قضية الصحراء لم تنته بعد، فإذا كانت تتسبب في خسائر أقل في الأرواح فهي تمثل نفقات هائلة في الموارد وتعرقل التعاون بين بلدان المغرب العربي.

جواب : هذا دون أن نتحدث لكم عن مخاوفنا المشتركة أنا والرئيس الشادلي من اندلاع حادث على الحدود يقع خارج إرادتنا قد يتطور إلى حرب بين الأشقاء.

أتعتقدون أنه بعد كل هذا سنزج بأنفسنا في حماقة كبرى مثل الحرب القائمة بين العراق وإيران ؟ وأنا على يقين من أننا والجزائريين سنعمل المستحيل لتفاديها، وأنا واثق أيضا أنه في حالة وقوع حادث خطير فسيتم بسرعة احتواؤه وتسويته، ولكن هذا خطر قائم، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الصحراء المغربية تنعم بالسلام وبالرخاء أيضا.

فهل تعلمون أن عدد الحاصلين على شهادة الباكالوريا هذه السنة في مدينة العيون وحدها بلغ ألفا، ولكم أن تتصوروا ماذا يعني ذلك من بناء للمدارس والمساكن والمستشفيات والطرق، وهذا يعني أنه يمكن أن يستمر على هذا الحال، ولكنني أفضل ألف مرة إيجاد تسوية بطبيعة الحال.



سؤال ــ لماذا ترفضون تقرير مصير الصحراويين ؟ وماذا تنتظرون لتنظيم استفتاء ؟

جواب : أقبل بتقرير المصير أي الإستفتاء، ولكن أريد أن تكون نتيجة هذه الإستشارة ملزمة للجميع، وقد اطلعت الأمين العام للأمم المتحدة على ذلك، وأنا أقبل بمراقبة لجنة دولية تشرف على الإجراءات المتعلقة بالإستفتاء، وقد أتيحت لي فرصة إبلاغ ذلك للفرنسيين والإسبان والرئيس الشادلي الذي أعتزم لقاءه من جديد قريباً.

سؤال ــ اقترح الجزائريون عليكم كياناً صحراوياً يرتبط بالمغرب في إطار اتحاد فيدرالي مع الإحتفاظ بالعلم والطابع البريدي المغربيين ويكون بمثابة منطقة صغيرة تحظى بالحكم الذاتي وترتبط بالتاج المغربي، وهذا الإقتراح لو كنتم قبلتم به لكانت الدول الخمس في المغرب العربي الكبير قد تبنته.

جواب : اقترح الجزائريون علينا بالفعل قبل أربعة أو خمسة أشهر من اتفاقية وجدة مع الليبيين في غشت 1984 فيدرالية تضم بلدينا الاثنين، وإني لم أكتف فقط بقبول هذا الإقتراح بحماس بل فوق ذلك أوصيت بأن نطلب من الأستاذين الفرنسيين فيديل ودوبوي صياغة دستور، وهو ما وقع بالفعل، وقد تمّ تسليم هذا المشروع لنا وللجزائريين، وقد انتظرنا الرد دون جدوى طيلة أربعة أشهر، وكنا نعتقد أن الفيدرالية المطلوبة من لدن الجزائريين يمكن أن تتكلف بالإستفتاء، وقد أدركنا أن ما كان يطلب منا لم يكن هو تقرير مصير الصحراويين، وإنما الإعتراف بالبوليساريو لا أقل ولا أكثر.

سؤال ــ وبعد ذلك كانت هناك اتفاقيتكم مع الليبيين واتفاقية الجزائريين مع الليبيين أيضا الذين يوجدون في نزاع مكشوف مع الولايات المتحدة.

جواب : إذن لنتحدث عن هذا الأمر، وبما أنني أتوجه إليكم أي إلى رجل كانت له دائماً ميول للمواقف الجزائرية فسأتحدث إليك بكل صراحة وبكيفية آمل أن تكون بناءة.

سؤال ــ لقد كنا بصدد الحديث عن علاقاتك الغامضة مع القذافي والصعبة مع الجزائريين ؟

جواب : إنني أترك لكم مسؤولية استعمال النعوت، وأبدأ بالقول انني أفاجأ دائما بالإفتتان الحقيقي الذي يمارسه معمر القذافي على الغربيين.

إنني من جهتي رأيته مرتين في المجموع، فقد مكث مرة بين ظهرانينا ثلاثة أيام بالمغرب، ذلك أنه جاء إلى المغرب لمدة ست وثلاثين ساعة وأعرب عن ارتياحه للمقام، ومدد إقامته دون أن يظهر عليه أن له مشاكل تتعلق بالبرنامج الزمني لعمله، أما في المرة الثانية فقد قضى معي بوجدة يوماً كاملا وقت إبرام الإتفاقية، إنه رجل لبق ومتنبه، كما أنه ينبسط بسرعة وله استعداد للهزل، فقوته تكمن في القدرة على الإنصات والصمت إن اقتضى الأمر، وأعترف أن مبدأه معي كان دائماً عدم العناد مهما تكن المناقشات، فعندما يريد الوصول إلى قرار فكل ما لا يرتبط بهذا القرار يصبح أمراً ثانوياً، فقد كان يريد مثلنا بيانا مشتركا بعد المحادثات، وبعد قبول المبدأ لم يولِ اهتماما للّمسات التي يمكن إدخالها على هذه الفقرة أو تلك. وخلاصة القول هي أنني لا أعرف كيف يتصرف مع الآخرين، لكنني فيما يخصني أجده لطيف المعاملة.

سؤال ــ ربما كان هناك ما يقال أكثر عن رجل يراه أصدقاؤه أنفسهم غير متوقع ؟

جواب : عندما ندرك جيداً الأفكار التي تستحوذ عليه فإنه يسهل توقعه أو على الأقل فهم مبادراته، فالقذافي يؤمن أولا بالضرورة القصوى لوحدة جميع الشعوب والدول العربية، ويرى أن الأمة العربية الإسلامية تشكل حضارة يجب إعادة بنائها والدفاع عنها، ثم ان القذافي — ضمن جبهة الرفض — هو الأكثر رفضاً لوجود إسرائيل، وأخيراً ومن جهة نظر دولته لا يتسامح — كما قال لي ذلك — أن تتم إثارته من جهة التشاد، فإذا عرفنا هذه الأفكار الثلاثة التي تستحوذ عليه فإننا نتوصل إلى تفسير تصرفه.

سؤال — يمكن أن نضيف إلى ما قلناه : أنه على نقيضكم يعتبر نفسه «ثوريا» ومعاديا لأمريكا، كما أنه يتهم عن حق أو باطل بمساندة العنف الإرهابي في أكثر من مكان، إذن بمقتضى أية واقعية سياسية يمكن أن تقام التحالفات مع ليبيا ؟

جواب : إن أوجب الواجبات بالنسبة لرئيس دولة هو تحييد أكبر عدد ممكن من خصوم بلاده وكسب أكبر عدد من الأصدقاء، ففي ذلك الوقت الذي نتحدث عنه، أي سنة 1984 كان يصوب إلي مدفعيْن، أحدهما قوي وبعيد المدى، بينما المدفع الآخر كان متوسط المدى، وكان عليَّ تحييدُ أحدهما، فأتيحت لي الفرصة الملائمة بينما كنت أنتظر بفارغ الصبر رد الجزائريين على مشروع فيدرالية أو كونفدرالية، لاسيما وأن هذه المبادرة السعيدة أقدم عليها الجزائريون أنفسهم، غير أنه في خضم هذه الأحداث تلقيت كباقي قادة الدول العربية تلك الرسالة التي أصبحت مألوفة منذ بضع سنوات، والتي يذكرنا فيها معمر القذافي جميعاً وعلى الخصوص بواجباتنا تجاه الفلسطينيين، وبوصفي رئيساً لمؤتمر القمة العربي بفاس ورئيسا للجنة القدس رأيت أنه ينبغي أن أستجيب له، فقرر المجيء على الفور.

وسأبوح لكم بما دار بيننا من حديث، لقد قلت له : «إنك غير محظوظ، فكل أولئك الذين يأتون لمقابلتك كرئيس يفعلون ذلك إما بدافع الخوف من مؤامراتك، وإما حباً في أموالك، فضحك، ثم قلت له : بطبيعة الحال لقد استعملت كافة الوسائل للإطاحة بي، ووافق على ذلك، وأجابني قائلا : بطبيعة الحال، ولكنك أنت أيضا قمتَ بنفس الشيء ضدي، و لم أنكر ذلك، وأضفت قائلا : إنه مهما فعلنا فإن الثلاثة آلاف كيلومتر التي تفصل بلده عن بلدي ستظل قائمة، وأنه من الأفضل التأقلم مع هذه الوضعية».

وهذا ما تم الإتفاق عليه بكيفية تامة، وبعد ذلك أمكننا التحدث بكل حرية.

سؤال — إنكم تبحثون أساساً عن كيفية وضع حد للمساعدة التي كان القذافي يقدمها للبوليساريو في الصحراء ؟

جواب : في اليوم الذي استقبلت فيه بحضور العديد من الشهود المبعوث الذي جاءني برسالة من القذافي وبعد أن قرأت هذه الرسالة بسرعة تبادرت فكرة إلى ذهني أو بالأحرى قلت لنفسي : انه ليس هناك أي سبب لاستبعاد قيام اتحاد بين المغرب وليبيا، وأؤكد لكم أني لم أفكر في ذلك من قبل، على أية حال كان على الحكومتين والبرلمانين والشعبين الموافقة عليه، و لم أستطع أن أحلل الدوافع اللاشعورية لهذا الإلهام المفاجيء إلا فيما بعد، فمن جهة لم يكن بإمكاني أن أترك بلدي في حالة انتظار مهينة من لدن الجزائريين، ثم ان تلك الفترة تضاعفت خلالها الإشتباكات في الصحراء، وأخيراً لم يكن يبدو لي من غير المجدي ربط علاقات مع العقيد القذافي هذا الرجل الذكي واللبق ضمن إطار الثقة بين العرب التي يريد إقامتها والتي تستحوذ عليه، فبعد قطع شوط من الطريق أي بإقامة الإتحاد يمكن قيام الطرف الآخر ببعض الخطوات إلى الأمام، لقد كان القذافي وفيا بوعوده،

إذ أنه منذ قيام الإتحاد قطع كل صلة مع البوليساريو.

سؤال ــ تعلمون أن الجزائريين اعتقدوا أن هذا الإتحاد كان موجهاً ضدهم، وأنه كان السبب في تأخير الوفاق بين الرباط والجزائر ؟

جواب : إني لا أعتقد ذلك، أعلم أنه قيل : ان ذلك كان هو تأويل الجزائريين إلا أنني لم أعتقد بذلك أبداً، فأولا وقبل كل شيء لابد من القول : ان الرئيس الشاذلي يدرك تماماً كما كان الشأن في ذلك بالنسبة للرئيس بومدين قبله، انني أرفض رفضاً باتاً كل عمل من شأنه أن يلحق ضرراً بمصالح الدولة الجزائرية.

فجيراننا لا يدركون ذلك فحسب، بل غالباً ما يثبتون علمهم بذلك، فكل دولة لها مشاكلها يمكن أن تستغل من لدن الآخرين لممارسة نوع من الضغط، لكنني لم أفعل ذلك أبداً، ويمكنني قول نفس الشيء بالنسبة للجزائريين.

ولنكن منطقيين مع أنفسنا، فإما أن هذا البوليساريو مستقل وفي هذه الحالة ليس هناك ما يدعو الجزائر للقلق على موارده الشيء الذي يجعل المرء لا يفهم لماذا تؤخذ محاولة وقف المساعدة الليبية للبوليساريو على أنها رغبة في الإضرار بالجزائر، وإما أن البوليساريو غير مستقل، وفي هذه الحالة يستحسن أن يصبح مشكلا مشتركا بين الجزائر والمغرب كما اقترحت ذلك دائماً.

إني لا أرى شخصيا في ارتباط العقيد القذافي بالمغرب والجزائر معاً إلا المزايا.

سؤال ــ لقد ذكرتم قبل قليل أن ليبيا وسوريا تنتميان لجبهة الرفض أي ضمن أولئك الذين يعارضون أي شكل من أشكال التفاوض مع إسرائيل، ثم ان هاتين الدولتين هما حليفتان للاتحاد السوفياتي، وأن النزاع المستمر بين طرابلس وواشنطن سيشكل بالنسبة لكم مصدر حرج دبلوماسي.

جواب : يجب التمييز بين أمرين اثنين أحدهما يفرق بين نادي المنتمين للعالم الحر ومن بينهم المغرب وبين مجموعة حلفاء المعسكر السوفياتي التي أجدها في موقفها ضدنا في قضية الصحراء منسجمة في جميع المحافل الإفريقية والدولية، أقول ان البوليساريو من أنصار الشيوعية، ولا يمكنني القول أيضاً بأن أشقاءنا الجزائريين لهم موقف يتسم بشكل من أشكال التبعية لموسكو، ألاحظ فقط أن الديبلوماسية الجزائرية ما زالت تمتلك القدرة على استقطاب مجموعة التقدميين ضد نادي الأحرار لفائدة أطروحتها حول قضية الصحراء.

ومن هذا المنظور فإن العقيد القذافي يجد نفسه هو الآخر أحياناً منذ إبرام معاهدة الإتحاد مع المغرب في حرج ديبلوماسي كما تقولون، خاصة وأن الموقع الجيوستراتيجي المتميز للمغرب يجعل أعضاء تلك المجموعة ينظرون إليه بعين الإعتبار.

ثم ان هناك تبايناً آخر مختلفاً تماماً وهو قائم بين أولئك الذين يريدون إقرار السلم في الشرق الأوسط عن طريق التفاوض واحترام قرارات الأمم المتحدة، وبين من يتصرفون وكأن السلم لا يمكن أن يتحقق أبدا إلا عن طريق القضاء على أحد الطرفين المتحاربين.

تعلمون أن المغرب كما هو الشأن بالنسبة لتونس ومصر والأردن والمملكة العربية السعودية وغيرها متمسك بدعم مفاوضات بإمكان ياسر عرفات الزعيم الوحيد لمنظمة التحرير الفلسطينية أن يتخذ مبادرتها لو أن

الاسرائيليين الأكثر تعقلا قالوا لنا ماذا يريدون وماذا يمكنهم القيام به.

غالباً ما كان لنا انطباع بأننا على وشك الدخول في محادثات، لكن انقسامات طرأت لدى جميع الفرقاء، غير أنه لا يمكن لأحد بعد أن يقول لنا ماذا يريد الإسرائيليون، كان هناك وسطاء أمريكيون وفرنسيون وبريطانيون وكل كان يقدم لنا أكثر من وجهة نظر رسمية.

وفيما يخصني لدي اقتراح، ويكمُنُ هذا الإقتراح في أن يعين مؤتمر قمة عربي يشارك فيه أكبر عدد من البلدان العربية أحد مفوضيه يكون بالطبع رئيس دولة يتم اختياره حسب أي معيار كان لإجراء محادثات استكشافية مع أعلى السلطات الإسرائيلية، وفي ذلك الوقت سيكون الإسرائيليون مرغمين على التحدث بجدية وتجنب أساليب المراوغة التي يستعملونها عندما يخاطبون رونالد ريغان أو فرانسوا ميتران، سيعرفون آنذاك أنهم أمام الأمر الواقع، وأنهم يتحملون مسؤولية التزامهم، ليس هناك أي واحد حتى الآن من بيننا نحن العرب من تجرأ على التفكير في مثل هذا الإحتمال،، كما لو كان من العار الذهاب للتحادث في بلد محايد مع العدو بالقول : لقد دقت ساعة الحقيقة ولا مجال للمراوغة، إننا نوجد وجهاً لوجه، فهل نخوض الحرب حتى النهاية ؟

وفي نفس السياق يتعين على رئيس دولة إسرائيل وهو يخاطب الأمة العربية علانية وبدون وسيط أن يطلب منها رسمياً أن توفد إليه أحد قادتها يحظى بثقتها للدخول في محادثات استكشافية.

ليس هذا ضرباً من الخيال لكون الموفقين يلتقيان، إن للاتحاد السوفياتي وحلفاءه نظرة مخالفة لتلك التي تكونها واشنطن وحلفاؤها عن ياسر عرفات وشكل الدولة الفلسطينية التي يجب إقامتها، فبالإمكان أن يكون هناك إجماع عربي مستقل عن الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي — فيما يخص هذا المشكل عن الأقل — وغالباً ما قلت : ان أوربا وفرنسا بإمكانهما أن يساهما في ذلك.

سؤال — يعتقد بعض المحيطين بكم أن اليهود المغاربة يمكن أن يؤثروا على السلطات الإسرائيلية على النحو الذي تأملونه، وفضلا عن ذلك فأنتم رئيس الدولة العربي الوحيد الذي يبدو وكأنه يريد أن يجعل هؤلاء اليهود يقومون بدور ما، فهل يتعلق الأمر بإحدى الخصائص القابلة للتصدير التي تفتخر بها المملكة المغربية أيما افتخار ؟

جواب : إن ما أعتز به هو روح الوطنية المغربية التي يتحلى بها اليهود المغاربة سواء منهم الذين بقوا هنا أو أولئك الذين توجهوا إلى كندا وإسرائيل، فلا يمكن لأي مغربي أن يتأثر بمشاعر تعلق هؤلاء اليهود بالوطن وتقاليده وشعبه، صحيح أنهم خير سفراء لنشر الإشعاع المغربي في العالم، فقد كونوا تجمعاً عالمياً لليهود المغاربة وعقدوا مؤتمراً في مونريال والرباط.

سؤال — ألا يعدكم اقتناعكم هذا بأن المغرب يتميز بكونه كياناً جغرافياً وإرادتكم هذه في الحفاظ على الطابع الذاتي للمغرب عن بناء المغرب العربي الكبير، ويبدو أنكم في إطار هذا الإكتفاء الذاتي في جانبه الثقافي على الأقل لستم متلهفين لجعل حدودكم قابلة لاستقبال الأصدقاء أو الأشقاء كما تقولون ؟

جواب : إن كل التقاليد لما تثبت قيمتها وغناها فإنها تجد عناصر الإستمرار، ولم تجانبوا الصواب عندما اعتقدتم أن التقسيم الجغرافي والبحري والجذور البربرية والإسهامات الإسبانية الموريسكية وكل ما طعمت به عبقرية شعبنا في العروبة يحملنا على التعلق بخصوصياتنا، غير أننا سنكون غير جديرين بالحداثة التي لا مفر منها



كما هو الشأن بمبادىء التضامن الأساسية إذا لم يخطر ببالنا أنه محكوم علينا بناء المغرب العربي الكبير، كما أن هذا المغرب العربي سيصير جزءاً من كيان أوربي متوسطي.

إن التزايد الديمغرافي الهائل وانعدام المنافذ الصناعية وغياب كل تشاور في المؤسسات الفلاحية والرغبة في القيام بدور سياسي بين افريقيا والمشرق كل هذا يساهم في جعلنا نفكر في تحقيق هذا الحلم الكبير، وفي يوم ما سنندم كلنا على كون قضية الصحراء شكلت عقبة في وجه تحقيق ذلك.

الجمعة 17 رجب 1406 — 28 مارس 1986